خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

الحلقة (8)

الكرم

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (٨)

الكرم

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

بعث معاوية –رضي اللَّه عنه– إلى السيدة عائشة –رضي اللَّه عنها– بمال قدره مائة وثمانون ألف درهم، فأخذت –رضي اللَّه عنها– تقسم المال، وتوزعه على الناس حتى تصدقت به كله، وكانت صائمة، فأمرت جاريتها أن تحضر لها الطعام لتفطر، فأحضرت لها الجارية خبزًا وزيتًا، وقالت لها: أما استطعتِ فيما قسمتِ اليوم أن تشتري لنا لحمًا بدرهم؛ لنفطر عليه، وهكذا تصدقتْ بهذا المبلغ الكبير، ونسيتْ أن تبقي درهمًا تشتري به طعامًا لإفطارها.

***

ذات يوم، أحضر عمر بن الخطاب –رضي اللَّه عنه– مالا كثيرًا إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، فسأله الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: (ماذا أبقيتَ لأهلك يا عمر؟)، فيقول: أبقيتُ لهم نصف مالي.

ويأتي أبو بكر الصديق –رضي اللَّه عنه– فيحضر ماله كله إلى رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم، وعندما سأله النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (ماذا تركتَ لأولادك يا أبا بكر؟)، فيقول: تركتُ لهم اللَّه ورسوله.

***

ما هو الكرم؟

الكرم يطلق على كل ما يحمد من أنواع الخير والشرف والجود والعطاء والإنفاق.

وقد سئل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: من أكرم الناس؟ قال: (أتقاهم للَّه). قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: (فأكرم الناس يوسف نبي اللَّه ابن نبي اللَّه ابن خليل اللَّه) [البخاري].

فالرسول صلى اللَّه عليه وسلم وصف يوسف –عليه السلام– بالكرم لأنه اجتمع له شرف النبوة والعلم والجمال والعفة وكرم الأخلاق والعدل ورياسة الدنيا والدين، وهو نبي ابن نبي ابن نبي ابن نبي.

كرم اللَّه سبحانه:

من صفات اللَّه –سبحانه– أنه الكريم، وهو الكثير الخير، الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه.

كرم النبي صلى اللَّه عليه وسلم:

كان النبي صلى اللَّه عليه وسلم أكرم الناس شرفًا ونسبًا، وأجود الناس وأكرمهم في العطاء والإنفاق، فقد أتاه رجل يطلب منه مالا، فأعطاه النبي صلى اللَّه عليه وسلم غنمًا بين جبلين، فأخذها كلها، ورجع إلى قومه، وقال لهم: أسلموا، فإن محمدًا صلى اللَّه عليه وسلم يعطي عطاء من لا يخشى الفقر. [أحمد].

كما تروي عنه السيدة عائشة –رضي اللَّه عنها– أنهم ذبحوا شاة، ثم وزعوها على الفقراء؛ فسأل النبي صلى اللَّه عليه وسلم السيدة عائشة: (ما بقي منها؟) فقالت: ما بقي إلا كتفها؛ فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (بقي كلها غير كتفها) [الترمذي].

أي أن ما يتصدق به الإنسان في سبيل اللَّه هو الذي يبقي يوم القيامة، ولا يفنى إلا ما استعمله في هذه الدنيا، يقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (ما نقص مال عبد من صدقة) [الترمذي].

أنواع الكرم:

بما أن الكرم يطلَق على ما يحمد من الأفعال؛ فإن له أنواعًا كثيرة منها:

الكرم مع اللَّه: المسلم يكون كريمًا مع اللَّه بالإحسان في العبادة والطاعة، ومعرفة اللَّه حق المعرفة، وفعل كل ما أمر به، والانتهاء عما نهى عنه.

الكرم مع النبي صلى اللَّه عليه وسلم: ويكون بالاقتداء بسنته، والسير على منهجه، واتباع هديه، وتوقيره.

الكرم مع النفس: فلا يهين الإنسان نفسه، أو يذلها أو يعرضها لقول السوء أو اللغو، وقد وصف اللَّه عباد الرحمن بأنهم: {وإذا مروا باللغو مروا كرامًا} [الفرقان: ٧٢].

الكرم مع الأهل والأقارب: المسلم يكرم زوجه وأولاده وأقاربه، وذلك بمعاملتهم معاملة حسنة، والإنفاق عليهم، فخير الإكرام والإنفاق أن يبدأ المسلم بأهله وزوجته. قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (دينار أنفقتَه في سبيل اللَّه، ودينار أنفقته في رقبة (إعتاق عبد)، ودينار تصدقتَ به على مسكين، ودينار أنفقتَه على أهلك، أعظمها أجرًا الذي أنفقتَه على أهلك) [مسلم]. وقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إذا أنفق المسلم نفقة على أهله وهو يحتسبها (أي ينوي عند إنفاقها أنها خالصة لوجه اللَّه)، كانت له صدقة) [متفق عليه].

فالصدقة على القريب لها أجر مضاعف؛ لأن المسلم يأخذ بها ثواب الصدقة وثواب صلة الرحم. يقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (الصدقة على المسكين صدقة، وهي على ذي الرحم (القريب) ثنتان: صدقة، وصلة) [الترمذي والنسائي وابن ماجه]

إكرام الضيف: قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (من كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يؤمن باللَّه واليوم الآخر فليقل خيرًا أو ليصمت) [متفق عليه].

الكرم مع الناس: طرق الكرم مع الناس كثيرة؛ فالتبسم في وجوههم صدقة، كما أخبر النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فقال: (لا تحقرن من المعروف شيئًا، ولو أن تلقي أخاك بوجه طلق) [مسلم].

وقد قال علي –رضي اللَّه عنه– وهو يحث على العطاء وإن قَلَّ: لا تستحي من عطاء القليل؛ فالحرمان أقل منه، ولا تجبن عن الكثير؛ فإنك أكثر منه.

وقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (كل سُلامَي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته؛ فيحمل عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة) [متفق عليه]. وقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (كل معروف صدقة) [البخاري].

الكرم والإنفاق في حوائج المسلمين: المسلم يجب عليه أن ينفق في حوائج المسلمين، فمثلا في وقت الحروب يجب عليه أن يكثر من الإنفاق لتجهيز جيش المسلمين، وفي أزمات التعليم ينفق في تيسير التعليم، وإن كان هناك وباء أو مرض مثلا، فعليه أن يتبرع بالمال مساهمة منه في القضاء على هذا المرض، ولو علم المسلم بحاجة أخيه المسلم في بلد إسلامي معين إلى دواء أو غذاء، فعليه أن يسارع إلى معاونته.

فضل الجود والكرم:

* ثواب الجود والإنفاق عظيم، وقد رغَّبنا اللَّه فيه في أكثر من موضع من القرآن الكريم، قال اللَّه -تعالى-: {مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل اللَّه كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة واللَّه يضاعف لمن يشاء واللَّه واسع عليم} [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: {وما تنفقوا من خير يوف إليكم وأنتم لا تظلمون} [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالى: {الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرًّا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون} [البقرة: ٢٧٤].

* الكرم يقرب من الجنة ويبعد عن النار، قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (السخي قريب من اللَّه، قريب من الجنة، قريب من الناس، بعيد من النار. والبخيل بعيد من اللَّه، بعيد من الجنة، بعيد من الناس، قريب من النار) [الترمذي].

* الكرم بركة للمال، قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدهما: اللهم أعطِ منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعطِ ممسكًا تلفًا) [البخاري]. وقال اللَّه في الحديث القدسي: (أَنْفِقْ يا بن آدم أُنْفِقْ عليك) [متفق عليه].

* الكرم عِزُّ الدنيا، وشرف الآخرة، وحسن الصيت، وخلودُ جميل الذكر.

* الكرم يجعل الإنسان محبوبًا من أهله وجيرانه وأقاربه والناس أجمعين.

لكل هذه الفضائل فإن المسلم يحب أن يكون كريمًا، قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه اللَّه مالا فسلطه على هلكته في الحق، ورجل آتاه اللَّه حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها) [البخاري].

وعلى المسلم أن يدرب نفسه على خلق الكرم، ويعودها عليه منذ صغره، وعليه أن يعلم أن المال مال اللَّه، وأنه نفسَه مِلْكٌ للَّه، وأن ثواب اللَّه عظيم، وأنه يثق في اللَّه، فلا يخشى الفقر إذا أنفق، وأن يتأسى بالنبي صلى اللَّه عليه وسلم وبصحابته في إنفاقهم، وعليه أن يكثر من الجود والكرم في جميع أوقات العام، وخاصة في شهر رمضان، وفي الأعياد والمناسبات التي تحتاج منه إلى ذلك.

البخل:

المسلم لا يتصف بالبخل؛ لأنه خلق ذميم يبغضه اللَّه -سبحانه- والناس أجمعون، وقد روي أن النبي صلى اللَّه عليه وسلم قال: (خصلتان لا تجتمعان في مؤمن: البخل، وسوء الخلق) [الترمذي].

جزاء البخل:

وقد ذم اللَّه البخل من خلال آيات القرآن، وحذرنا منه، فقال عز وجل: {ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم اللَّه من فضله خيرًا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة وللَّه ميراث السموات والأرض واللَّه بما تعملون خبير}.

[آل عمران: ١٨٠]. وقال تعالى: {والذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل ويكتمون ما أتاهم اللَّه من فضله وأعتدنا للكافرين عذابًا مهينًا} [النساء: ٣٧].

وجعل اللَّه عاقبة المنفقين الفوز والفلاح؛ حيث قال: {ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون} [الحشر: ٩].

والبخل يرتد على صاحبه، فلا يذوق راحة أبدًا، يقول اللَّه تعالى: {ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه واللَّه الغني وأنتم الفقراء} [محمد: ٣٨].

وكان النبي صلى اللَّه عليه وسلم يتعوذ من البخل في دعائه، فيقول: (اللهم إني أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك أن أُرَدَّ إلى أَرْذَلِ العمر) [البخاري]. ويقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (ثلاث مهلكات: هوًى مُتَّبَع، وشُحٌّ (بخل) مطاع، وإعجاب المرء بنفسه) [الطبراني]. ويقول النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (واتقوا الشح؛ فإن الشح أهلك من كان قبلكم..حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) [مسلم].

وقال أحد الحكماء: البخيل ليس له خليل. وقال آخر: الجود يوجب المدح، والبخل يوجب الذم. وقال آخر: طعام الكريم دواء، وطعام البخيل داء. فعلى المسلم أن يجعل الجود والكرم صفة لازمة له على الدوام، وأن يبتعد عن البخل والشح؛ حتى يفوز برضوان اللَّه وجنته.